فإن قلت ومن أين يعلم أن العرب قد راعت هذا الأمر واستشفّ َته وعُنيت بأحواله وتتبعته حتى تحامت هذه المواضع التحامي الذي نسبتْه إليها وزعمته مُرَادا لها وما أنكرت أن يكون القوم أجفى طباعاً وأيبس طيناً من أن يصلوا من النظر إلى هذا القدر اللطيف الدقيق الذي لا يصح لذي الرقة والدقة منا أن يتصوّره إلا بعد أن تُوضح له أنحاؤه بل أن تُشَرّح له أعضاؤه .

قيل له هيهات ما أبعدك عن تصوّر أحوالهم وبعد أغراضهم ولطف أسرارهم حتى كأنك لم ترهم وقد ضايقوا أنفسهم وخففوا عن ألسنتهم بأن اختلسوا الحركات اختلاساً وأخفَوها فلم يمكّنوها في أماكن كثيرة ولم يشبعوها ألا ترى إلى قراءة أبي عمرو (مالك لا تأمننا على يوسف) مختلِسا لا محقّقا وكذلك قوله D (أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى) مخفًي لا مستوفي وكذلك قوله عزّ وجلّ (فَتُوبُوا إِلَى بارِئكُمْ) مختِلسا غير ممكّن كسر الهمزة حتى دعا ذلك مَن لطف عليه تحصيل اللفظ إلى أن ادّعى أن أبا عمرو كان يسكّن الهمزة والذي رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة لاحذفها البتة وهو أضبط لهذا الأمر من غيره من القرّاء الذين روَوه ساكناً ولم يُؤْت القوم في ذلك